قراءة سوسيولوجية لدور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد

Lecture sociologique du rôle de la famille dans la socialisation de l'individu

أ.زنانرة ريمة	أ . د . بلعيور الطاهر
طالبة دكتوراه	أستاذ
جامعة محمد لمين دباغين – سطيف 2	مخبر علم النفس والتربية وقضايا المجتمع
rimazenanra@yahoo.com	جامعة محمد الصديق بن يحي -جيجل
	belaiouar.tahar@yohoo.fr

الملخص :

تعتبر التنشئة الاجتماعية السليمة للفرد من أهم مقومات التوازن و الاستقرار الاجتماعي،و هذه التنشئة تعنى بها مجموعة من المؤسسات كل يقوم بدوره على حدا و تكامل هده الأدوار من شانه إن يحقق هدف المجتمع في الحفاظ على توازنه و استقراره و أهم مؤسسة في السلسلة الاجتماعية التي ترتكز عليها عملية التطبيع الاجتماعي للأفراد هي مؤسسة الأسرة التي سنتعرض لدورها في عملية التنشئة الاجتماعية من خلال هده الورقة البحثية بالتطرق إلى: أهمية الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية إلى جانب الإشارة إلى أهمية السلطة الوالدية داخل مؤسسة الأسرة و التعريج على بعض العوامل المؤثرة في الدور التربوي للأسرة وأخيرا الحديث عن اثر العلاقات الأسرية في تشكيل شخصية الفرد.

Le résumé :

une socialisation saine de l'individu est considérée comme l'un des éléments les plus importants de l'équilibre social et de la stabilité, et cette formation concerne un groupe d'institutions, chacune jouant son rôle à la limite et l'intégration de ces rôles qui atteindraient l'objectif de la société en maintenant son équilibre et sa stabilité et l'institution la plus importante de la chaîne sociale Sur lequel se fonde le processus de normalisation sociale des individus, c'est l'institution familiale que nous serons exposés à son rôle dans le processus de socialisation à travers cet article de recherche en abordant: l'importance de la famille dans le processus de socialisation en plus de souligner les plus importants De l'autorité parentale au sein de l'institution de la famille et quelques-unes des escales facteurs affectant le rôle éducatif de la famille et, enfin, parler de l'impact des relations familiales dans la formation de la personnalité de l'individu.

- مقدمة :

نميل عادة إلى التفكير في البيئة بمعنى الظواهر كدرجة الحرارة أو نوع التربية أو المواد الغذائية الممكن الحصول عليها.....الخ وكلها عوامل لابد أن تتغير بتغير الزمان والمكان، وعلى الرغم من أن هذه تنعكس في خبرات الفرد وبالتالي تنعكس في شخصيته فإنها في الحقيقة قليلة الأهمية في تكوين الشخصية،وبين البيئة الطبيعية و بين الفرد توجد دائما بيئة إنسانية تفوق البيئة الطبيعية في الأهمية و في تفسير الظواهر الاجتماعية وهذه البيئة الإنسانية تتكون من مجموعة منظمة من الأفراد الآخرين و تعرف بالمجتمع و لها أسلوب خاص في الحياة مميز لها و يعرف هذا الأسلوب بالثقافة و تفاعل الفرد مع كل هذا ه والمسئول عن تكوين معظم أنماط سلوكه وعن ثقافته و حتى استجابته العاطفية العميقة الجذور،وأول تفاعلات الفرد مع الحياة الاجتماعية يكون في إطار بيئته الأسرية المصغرة، و على الرغم من أن مؤسسات التنشئة و العوامل الاجتماعية و الجامعات تؤثر في تنشئة الأطفال إلا أن الأسرة هي أهم مؤسسة تقوم بهذه العملية كونها الوظيفة الرئيسية لها، والأسرة نظام اجتماعي معقد يتضمن وظائف متداخلة بين أعضائها وهذه الوظائف يمكن أن يحدث بها من التغيير في الشكل أو في سلوك واحد من أفرادها نتيجة متغيرات مثل وجود أحد الوالدين فقط أو عمل الأمهات والأسرة هي الخلية الأولى التي يحتك بها الطفل و هي المكان الأول الذي تبدأ فيها معالم التنشئة الاجتماعية للطفل ابتداء من عامه الأول ،بذلك فهي مسئولة عن بلورة الشخصية الإنسانية فضلا عن كونها مرافقة للإنسان منذ ولادته حتى وفاته.

1-الأسرة و عملية التنشئة الاجتماعية:

يجمع المتخصصون في علم النفس وعلم الاجتماع والعلوم الإنسانية على أن أهم وظيفة للأسرة هي إنجاب الأطفال و تربيتهم ويقرون بأن شخصية الفرد تتكون وتتشكل في السنوات الأولى من حياته أما ما يتعرض له الفرد فيما بعد من تأثيرات فإنها تبقى ثانوية بالنسبة لما تعرض له في مرحلة الطفولة و ما يتعرض له الفرد من خبرات و مواقف ايجابية أو سلبية و في هذا الشأن ترى "مرجريت ميد Margaret Mead" أن الطفل يكتسب ثقافة المجتمع تلقائي من خلال توجيهات الوالدين و الأفراد و البالغين المحيطين به من خلال ملاحظة سلوكهم وتقليده لهم من خلال أساليب الثواب و العقاب التي يتعرض لها الطفل في مرحلة الطفولة (نعيمة،2002:ص21).

ويقول أبو النيل أن: التنشئة الاجتماعية تشمل كافة الأساليب التي يتلقاها الفرد من الأسرة خاصة من الوالدين و المحيطين به من أجل بناء شخصية نامية متوافقة جسميا ونفسيا واجتماعيا وذلك في مواقف كثيرة منها اللعب ة الغذاء و التعاون والتنافس والصراع مع الآخرين في كافة مواقف الحياة.(السيد،2002:ص17).

والأسرة في أدائها لوظيفتها الرئيسية تهدف إلى تحقيق هدفين أساسيين هما:

1-ربط الفرد بتراثه الاجتماعي الذي تتوارثه الأجيال جيل بعد جيل.

2-تعليم الفرد التعاون والتضامن مع من يعيش بينهم من أفراد الأسرة والوقوف ضد النزاعات الأنانية التي قد تظهر عند بعض أفراد الأسرة ومحاولة علاج هذه النزاعات حتى تستوي عملية التنشئة الاجتماعية وتستقيم شخصية الطفل(اوبير،1977:ص217).

وانطلاقا من الأسرة تتحدد العلاقة بين الطفل و البيئة الأسرية لأنه ومنذ اللحظة الأولى لولادته يكون متحدا بأمه عن طريق الغذاء اذ لا يقيم أي تميز بينه وبين لبيئته الاجتماعية المحيطة به كما تظل الأسرة أولا وقبل كل شيء مؤسسة اجتماعية ثقافية تتغير بينتها المادية والنفسية بتغير المجتمعات لكن وظيفتها الأساسية تبقى وتتواصل بتواصل الأجيال(الواعي،2005:ص344).

تؤثر الأسرة في حياة الطفل تأثيرا يبدأ بالعلاقة الوثقى التي تقوم بينه وبين أمه ثم يتطور هذا التأثير إلى علاقة أولية تربطه بأبيه وبأفراد الأسرة الآخرين وتظل هذه العلاقات تهيمن على حياته هيمنة قوية طول طفولته ومراهقته ثم يتخفف منها نوعا ما في رشده و اكتمال نضجه لكنه رغم كل ذلك يظل حييا باتجاهاته التي تكونت أول الأمر في الأسرة.

1-1:الناحية الجسمية:

تعمل الأسرة على تأمين كل الحاجات الأساسية للطفل من غذاء وشراب ودواء وملبس ووسائل الراحة ومختلف العوامل التي تعمل على حماية الطفل من الأمراض و إتاحة الفرصة له للعب حتى ينمو جسمه نموا سليما متزنا،ويتأثر النمو الجسمي للطفل بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والصحية السائدة في الأسرة فالتسيير من الناحية المادية وتوفر أسباب الصحة كالنظافة و الغذاء الجيد ووسائل الراحة هو الذي يضمن النمو الجسمي السليم للأطفال ويتأثر نموهم عكسا بانعدام هذه الأساسيات الضرورية.

وقد اهتمت الشريعة الإسلامية بالرعاية الصحية للإنسان عموما وللطفل خاصة عناية فائقة إذ يوجب الإسلام العمل على بناء القوة المتكاملة للإنسان بما فيها قوة البدن لأن الجسم هو عدة الإنسان في حياته وفي القيام بالتكاليف الشرعية، ويقول "صلى الله عليه وسلم":" المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف"(رواه أبو هريرة (الواعي،2005:ص153) وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالنظافة والتغذية و التداوي وحث على الرياضة البدنية"كما للطفل حق الاستمتاع بطفولته فلا يسلب حقه في الراحة و الاستمتاع بوقت الفراغ ومزاولة الألعاب والاستحمام و المشاركة بحرية في الحياة الثقافية والفنية بما يتناسب مع سنه ويحفظ هويته"(الواعي،2005:ص153)

1-2-الناحية النفسية:

إن هناك اتصال بين النفس والجسد فالنفس تؤثر في الجسم و الجسم يؤثر في أحوالنا النفسية وسلامة الجسد من الأمراض و العلل وسلامة النفس من الهم و الحزن والخل شرطان أساسيان ضروريان للصحة النفسية و تنشئة الطفل نفسيا يكون بتعزيز المفاهيم الايجابية لديه كالتعاون و الثقة و المن و غيرها.

إن من حاجيات الطفل الأساسية الشعور بالمحب و هي حاجة نفسية لإنسانية تحقق الأمن و الطمأنينة للطفل و تشبع غرائزه الذاتية التي فطره الله سبحانه عليها، وحاجته إلى المحبة لا تقل أهمية عن حاجته إلى الطعام ولذلك نجد الإنسان عبر مراحل عمره يبحث عن بناء علاقات إنسانية توفر له هذه الحاجة و يشعر من خلالها أنه محبوب.

"إن الشعور بالانتماء لدى الطفل منذ إدراكه لا يتحقق إلا بتوفير جو من الإحساس بالأمن والطمأنينة داخل الأسرة كأول خلية إنسانية تحقق للطفل حق الانتماء(kojev ,1981:p77).

ويذكر يوسف توفيق الواعي في كتابه الإبداع في تربية الأولاد "أن محبة الطفل تساهم في النمو العاطفي السليم للطفل وهذه الم حبة يكتسبها الطفل من خلال العاطفة والدفء الأسري من حوله وحرمان الطفل من هذه العاطفة يؤدي إلى انعكاسات خطيرة على شخصيته تبدأ من الميل إلى الانحراف أو التقوقع و الانطواء على الذات(ali,1970:p89)

ويضيف محمد سند العكايلة في كتابه اضطرابات الوسط الأسري ولعقتها بجنوح الأحداث "أن الأسرة بإمكانها تنمية المفاهيم السلبية لدى الطفل كالانطواء والعدوان والانسحاب خاصة في حالة عدم استقرار الوسط الأسري"(العكايلة،2006:ص81).

لذا كان من واجبات الأسرة تنشئة الطفل بعيدا عن الاضطرابات وتوفير الجو الهادئ و المناسب لتربية هذا الطفل وهذا لضمان النفسية وسلامة شخصيته من كل اضطراب نفسي وسلوكي.

1-3-الناحية العقلية:

لا تتم الطريقة الأولى الأساسية التي يتعلم بها الأطفال مهارات التواصل الاجتماعي إلا عن طريق المحادثات بين أفراد العائلة فأول مصدر يكتسب منه الطفل اللغة هو الوالدين قبل أن يكتسبها م فالوسط الخارجي أو التعليمي أي المدرسة لأنه يتأثر بأفكار وآراء الكبار عن طريق حديثهم وتعاملهم معه أو مع الآخرين فتزداد معارفه تبعا للمستوى الثقافي الذي يعيش فيه ثم يبدأ قاموسه اللغوي في التوسيع بتوسع دائرة احتكاكه وتفاعله في المجتمع فمعجم الطفل اللغوي يزداد باستمرار ويؤثر في ذلك الصحة العامة للطفل خاصة التغذية السليمة و كذلك العلاقات الأسرية و المحتوى الاجتماعي و الاقتصادي و المستوى اللغوي للأب والأم فالطفل الذي يعيش وسط مشاكل بين أبيه وأمه غير الذي

يعيش في حياة أسرية هادئة وهانئة والطفل الغني غير الفقير والطفل الذي يتحدث أبواه الفصحى أو اللغة العربية السليمة غير الذي يتحدث أبواه بألفاظ بذيئة.

تشير الدراسات إلى أن أساليب التربية وطرق اللعب مع الطفل المعتمدة في البيت لها تأثير مباشر على نمط التطور الفكري عند الأولاد وكذلك نوعية استجابة الوالدين للطفل.(الهادي وآخرون ،2007:ص77).

1-4-الناحية الاجتماعية:

إن الإنسان كما قال ابن خلدون مدني بطبعه فهو يميل إلى الاجتماع لذلك وجب على الأسرة تطبيع الوليد الإنساني على أساليب السلوك الاجتماعي المقبول اجتماعيا وإعداده لخوض الحياة الاجتماعية بكل متطلباتها وذلك كون الأسرة منبع القيم والمبادئ الحسنة والأنماط السلوكية الفاضلة التي تخدم الفرد والمجتمع على السواء إلى جانب كونها مصدر التفاعل الإنساني ومنبع المعارف الأساسية التي تجعل من الكائن البيولوجي كائنا اجتماعيا فهي كما عرفها أحمد زكي بدوي في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية"الواحدة الاجتماعية الأولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني وتقوم على المقتضيات التي يرتضيها العقل الجمعي والقواعد التي تقرها المجتمعات المختلفة"(المعجم الوسيط ،د س ن:18).

فالأسرة تعمل على دمج أفرادها عن طريق التفاعل الاجتماعي الذي يحقق لهم الانتماء إلى مختلف المجتمعات الإنسانية كما تقوم الأسرة بإعداد أفرادها للعمل والتعاون لضمان استمرارهم واستمرار المتجمع ككل.

إن الفرد في مرحلة الطفولة يكون قادرا على تعلم ممارسات اجتماعية بما فيها من قيم واتجاهات اجتماعية مثل:التضحية والتعاون وغير ذلك من المفاهيم السلوكية الاجتماعية وهذا مما دعا تسمية مرحلة الطفولة بمرحلة التطبيع الاجتماعي حيث وبعد مرحلة الطفولة يبدأ الطفل بسحب جانب كبير من طاقاته المستثمرة في علاقاته الأسرية ويستثمرها في عامله الخارجي(الهادي وآخرون ،2007:ص65).

"هذا الطفل الإنساني أكثر الكائنات الحية اعتمادا على أسرته ذلك بأن طفولة الإنسان أطول طفولة عرفتها الحياة اذ تبلغ ما يقرب من ربع أو ثلث حياة الفرد لاتصالها الوثيق بأقوى دوافع الإنسان(الواعي،2005:ص245).

2-أهمية السلطة الوالدية داخل الأسرة:

إن الأسرة هي التي تجد لعناصرها القانون الاجتماعي وذلك من خلال ما يسمى بقانون الأب الذي هو عبارة عن السلطة التي يمارسها الأب على أبنائه في اتجاه تحديد سلوك الحلال وسلوك الحرام وهذا

القانون الأبوي هو نسخة أسرية تعتمد في البداية صورة قانون المجتمع ودور الأب هو أن يتحول إلى مرجع بالنسبة لسلوك أبنائه حيث أنهم يقتدون به ويحذون حذوه بشكل مباشر أو غير مباشر واع أو غير واع إذ أنهم يعتمدون سلوكه في الحالات المشابهة سواء كان موجودا أو غير موجود فإذا غاب جسديا دون أن يترك أثرا في تربية أبنائه فان مرجعيته تختل عند ذلك ويختل سلوك أبنائه ويجنحون نحو الاحتراف و الإجرام(مكي ،2007:ص134).

وإذا كان يملك سلطة مرجعية القانون ويعتمد كرمز للتماهي والتقليد على الصعيد الذهني والعلمي فان الأم هي صاحبة السلطة العاطفية: هي التي تبعث عند الأبناء الشعور بالأمان و الاطمئنان والانتماء وهي التي تؤمن لهم حرارة العلاقة عند الأسرية فهي ترضعهم الحنان مع الحليب بداية ومع الطعام بعد ذلك وعلى هذا فان شخصية الفرد تتغذى من مرجعية سلطة الأب ومن حنان عاطفة الأم وكما أن سوء التغذية النفسانية يمكن أن يؤدي إلى ضعف الشخصية ومرضها وما نتج عن ذلك من سلوكات منحرفة ولعل الشرط الأساسي الذي يقنع الأبناء بالانصياع لأوامر ونواهي أهلهم يكمن في شعورهم الفعلي بأن الأهل يعاملون أبنائهم سواسية كأسنان المشط وبالعدل والمساواة وقياسا بالعمل الصالح وهذا ما سماه كوجيف بالحلة القانونية الانفعالية(kojev,1981:p77).

إن المفتاح الأساسي الذي يسمح للأهل بلعب دور الوقاية من وقوع أبنائهم في سلوك الانحراف والجريمة يكمن في أن إعطاء الأهل القدوة السلوكية الحسنة المعتمدة على قانون المجتمع وقيمه و المعتمدة أيضا على مبدأ الاعتراف بالأبناء مع العمل على توليف هذا الاعتراف مع حقائق الواقع وصعوباته وتشابكات عناصره،(مكي ،2007:ص135).

والإستراتيجية الفضلى في هذا المجال تشير على الأهل الامتناع عن الإسفاف العاطفي والانفعالي في التعامل مع أبنائهم سلبا أو إيجابا؛ فالعطف الزائد يؤدي إلى تعطيل عملية التكيف عند الأبناء لأنه يربكهم ويمنعهم من الفطام والانفصال عن الأهل و تكوين الشخصية السليمة القادرة على تحمل ابتعاد الحاجة عن إشباعها والعطف الناقص يؤدي أيضا إلى تعطيل عملية التكيف عند الأبناء لأنه يحبطهم ويتركهم عرضة لمشاعر العبث والخوف والتظلم ويتركهم في مجتمع يحقدون عليه ويرون فيه سببا لتعاستهم(ali,1970:p89)

وعلى هذا فإن الإستراتيجية السليمة هي التي تعطي الأبناء الحنان والاهتمام اللازمين دون أن تحجب هذه العاطفة الأبوية و الأمومية عن الأبناء صعوبات الواقع وتعقيداته في هذا السياق فان الصورة النموذجية للأبوين اللذين يمكنهما القيام بدور الوقاية من السلوك المنحرف هي صورة الأب صاحب السلطة الفاعلة الحانية وغير الزاجرة من ناحية وصورة الأم صاحبة العاطفة المنعشة وغير المخدرة من ناحية ثانية بحيث أن سلطة الأب تتحول إلى مرجع وبوصلة للسلوك عند الأبناء وحنان الأم يتحول

إلى غذاء يساعد البناء على تخطي صعوبات العلاقات الاجتماعية وبخاصة عند الأبناء في عمرهم الطري الأول، وعند ذلك تتحول الأسرة من خلال الأب والأم إلى وعاء وصمام أمان يساعد الأبناء على امتصاص نقمتهم على الواقع اليومي الصعب والمعقد فبدل أن يوجه الابن المحبط نقمته على المتجمع بواسطة سلوك انحرافي فانه يركن إلى حضن الأم وربما بكى بين يديها واستعاد عافيته ويفزع إلى مرجعية أبيه طالبا منه العون والمشورة وشد الأزر(مكي ،2007:ص136).غير أن السلطة الوالدية قد تسير في الاتجاه المعاكس لما هو متوقع منها كصورة نموذجية لازمة لوقاية من الإثم والسلوك المنحرف فهناك من الصورة الأسرية التي تدفع بشكل مباشر أو غير مباشر إلى سلوك الانحراف والجريمة.

إن دور الأهل في احترام لائحة القيم الاجتماعية كبير فطريقة تربيتهم لأبنائهم هي التي تساعد عملية التكيف مع هذه القيم أو تعقيمها فأسلوب تربية الأهل بشكل يتوافق مع الصور النموذجية التي يضعها المجتمع هو الذي يسمح للأبناء بالمزيد من فهم و معرفة الجوهر وكنه المحرمات والمسموحات و يؤدي إلى تمثل هذه القيم واعتماده جزءا أساسيا من بيئة شخصية الفرد بحيث تتحول هذه المبادئ إلى رقيب داخلي ذاتي على النفس يحاسبها سلوكها ويربط هذا السلوك بتلك القيم وعلى هذا فان حسن تمثل الأبناء وعمق امتثالهم لقيم أهلهم التي هي قيم المجتمع بشكل عام هو المؤشر الأساسي على فشل أو نجاح المهمة التربوية الموكلة للمسؤولية الوالدية في الأسرة و المجتمع(مكي ،2007:ص141).

3-أثر الوالدين في تكوين شخصية الطفل:

تعد الأسرة أصغر المجموعات الإنسانية حجما وأكبرها من حيث الأدوار التي تؤديها في المجتمع و الحضارة الإنسانية عموما لكونها مصدر التفاعل الإنساني والجسر الذي يصل بين الفردية الخالصة وبين المجتمع "والوالدين في العادة هما الوكلاء الأوائل الذين يتولون عملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية ويستجيب الطفل لوالديه ويستجيبان له وهذا من شأنه زيادة أواصر المحبة وتقوية روابط العلاقات الشخصية القائمة بين الطفل ووالديه، كما أن العلاقة بين الطفل ووالديه تعود بنتائج ايجابية للطرفين فهي تشجع الطفل على بناء علاقات اجتماعية ايجابية مع الآخرين ويقاوم كل ما من شأنه أن يبعده عن الناس أو يدفعه إلى الانعزال و الانطواء والانسحاب"(عوض ، الدمنهوري،د س ن:65).

إن كل ما يصدر عن الوالدين أو أحدهما من تصرفات وسلوكات قد يؤثر على الطفل ونمو شخصيته سواء القصد بذلك عملية التوجيه أو التربية فالفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية هي ثمرة من ثمرات التنشئة الوالدية وهي عملية تعتمد أساسا على التفاعل الاجتماعي بين الطفل وأبويه وإخوته،وسنورد فيما يلي دور كل طرف في تشكيل شخصية الطفل وسلوكه.

1-3 أثر الأم في شخصية الطفل:

إن الطفل ومنذ اللحظة الأولى لولادته يكون متحدا بأمه عن طريق الغذاء وتتجلى أهمية أثر الأم في تكوين شخصية الطفل لملازمتها له حتى يكبر فهي تعتبر مصدر الحماية للطفل من تهديدات المحيط وهي المؤمن لمختلف حاجياته البيولوجية والنفسية إذ توفر له الغذاء ووسائل الراحة وتشكل للطفل مصدر العاطفة والحنان ومعروف أن اتصال الطفل بالعالم الخارجي المحيط به يتم عن طريق أمه من خلال مراحل الحمل والولادة والطفل يتأثر بأفكار أمه اتجاه ما يحيط به نتيجة تعلقه القوي وتأثره بها من جهة وتدور الأبحاث المتقدمة في علم النفس أن الجنين وهو في رحم أمه يتأثر بكل ما يصيبها وبأحوالها النفسية والاجتماعية المختلفة والأم هي التي تغرس في شخصية الطفل المبادئ الايجابية والعادات والأنماط السلوكية الفاضلة كالصدق والوفاء(...) وهي التي تساعده على إثراء مخزونه اللغوي ونموه الانفعالي بالاتجاه السليم،"ولعل ارتباط الطفل بأمه هو الذي يفسر لنا اضطراب شخصيته وعدم شعوره بالأمان في حال انفصاله عنها أو غيابها عنه فالطفل الذي يبتعد عن أمه يكون كئيبا وعاجزا عن التواصل مع الآخرين وقد تظهر لديه النزاعات العدوانية والسلوكات العنيفة"(عوض ،الدمنهوري :65).

وقد أوضحت معظم الأبحاث والدراسات وأكدت أهمية سلوك الم في تشكيل السلوك عند الطفل وتطوره فقد أشار كل من "جولد فارب" " Gold Farab " سنة 1943 و"بويلي" "Bouilly" سنة 1952 إلى أهمية دور الأم في عملية تطبيع ابنها الاجتماعي فقد أشار إلى أن الطفل عندما يلقى العناية بالحاجات الفيزيولوجية الأساسية له دون أن يلقى العناية نفسها بالجوانب الشخصية فإننا نلاحظ تعرضه لأثار خطيرة على خصائصه الشخصية ومستقبل حياته(عوض، الدمنهوري:69).

وقد لاحظ "بويلي" من خلال أبحاثه بعض الآثار المترتبة على حرمان الطفل من أهله وأهمها: ضعف ذكاء الطفل، ضعف تحصيلهم الدراسي،قدرة ضعيفة على إقامة علاقات مع الآخرين،تعرضهم لمشاكل سلوكية مثل:القلق،المخاوف، التوتر العاطفي غير العادي،العنف....(عوض ،الدمنهوري:69).

إن إشباع الحاجات الفيزيولوجية للطفل دون إتباعها بمشاعر الأمومة كالحب والحنان من شأنه أن يعيق نمو الطفل ويجعله يحس في ذاته بأنه ليس محل اهتمام وأنه منبوذ.

وقد أوضحت دراسة لـ "بينت ريدل""Redl"سنة 1955 أن "الأطفال يصابون بإضرابات عقلية يصعب شفاؤها في حالة تعرضهم للحرمان الواسع من قبل أمهاتهم في فترة الطفولة المبكرة" (شرقي،2005:ص103).

والأم التي يتسم سلوكها بغير السواء يكون تأثيرها سلبيا على شخصية طفلها باعتبارها تقدم أنماط سلوكية شاذة والطفل سرعان ما يكتسب هذه السلوكات خاصة في حالة وفاة الأب أو غيابه لسبب ما،

كما أن غياب الأم عن الطفل بسبب الوفاة مثلا و وزواج الأب للمرة الثانية قد يزيد من تعقيد الأمر ويؤثر على الطفل وقد يدفعه إلى الهروب من المنزل نظرا لغياب منبع العاطفة والحنان أو يدفع به إلى الانضمام إلى الجماعات المنحرفة حتى يسد ذلك الفراغ العاطفي الذي سببه وجود الأم.

كما أن صعوبة الحياة وقلة الموارد المادية من شأنه لن يجعل الأم تهمل الاهتمام بالجانب العاطفي لأطفالها وصب الاهتمام على أمور أخرى متعلقة بالجانب المادي على حساب الجانب المعنوي، أيضا عدم توفر الم على مستوى تعليمي معين يمكن أن يبعد اهتمامها عن الإشباع العاطفي لأولادها لقلة وعيها به وبضرورته عموما يمكن القول أن غياب الأم عن طفلها بغض النظر عن شكل هذا الغياب يؤدي إلى شعور الطفل بالنقص و الحزن مما يؤثر على شخصيته ويجعله يعوض هذا الغياب بطرق مختلفة قد يكون من بينها سلك درب الانحراف.

3-2-أثر الأب في شخصية الطفل:

"لقد لقي دور الأب اهتمام أقل نسبيا مقارنة بدور الأم وكما يشير "يارو" "yarrou" فانه يوجد القليل من الأبحاث على أهمية دور الأب في نمو الطفل ولقد أشارت تلك الأبحاث إلى غياب الأب خلال فترة الرضاعة الأولى له تأثير غير مباشر على الطفل وحسب الدراسة التي أجراها كل من" لين" و"ساوري" "Lynn.Sawery" سنة 1959 في النرويج على أن أبناء بحارة السفن حيث كان الآباء يتغيبون من تسعة أشهر إلى سنتين وعدد هؤلاء الأطفال هو 42طفلا وتمت مقارنتها بأطفال كان آباؤهم متواجدين أغلب الوقت في منازلهم وقد أظهرت هذه الدراسة أن البنات اللاتي كان آباؤهن متغيبين عن منازلهم كن أكثر اعتمادا على الآخرين مقارنة بالبنات اللاتي كنا آباؤهن حاضرين بالمنازل وكان الأولاد أكثر تأثيرا من البنات فقد كانوا غير متوافقين في علاقتهم مع جماعاتهم مقارنة بالأولاد الذين كان لهم علاقات ومصاحبات منتظمة مع أبائهم كما أنهم غير ناضجين إلى حد كبير في أنماط سلوكهم كانوا يتصرفون بطريقة رجولية مفتعلة ومبالغ فيها و في بعض الأحيان يتشبهون بالبنات في أنماط سلوكهم" (العناني،2000:ص60).

توفير المتطلبات المادية واحتياجات الطفل من حليب وغذاء وكساء وحماية وكل الأشياء التي تساعد الطفل على النمو جسديا ويؤكد"ألكنيد""Elknid" على دور الأب بقوله :" بان الأب يأخذ العديد من المسؤوليات في رعاية الرضيع لذا فان الأطفال الصغار غالبا ما يرتبطون بأبيهم مثل ارتباطهم بأمهم" (عباد ،الخضري،1997:ص186)

إن الأب يمثل في حياة الطفل مصدر السلطة وهو بمثابة القدوة أو النموذج أو المثال الأعلى للطفل الذي يحب الاقتداء به وخاصة في المراحل الأولى من حياته ويظهر جليا أثر الأب في شخصية الطفل في السنوات الأولى وإذا كان الأب متمسكا بالقيم والمبادئ والأخلاق فانه نموذج جيد بالنسبة للطفل

والمجتمع على السواء أما إذا كان العكس فانه يكون نموذج سيئ لابنه ولذلك فان السلوك السوي للأب ضروري لضمان عملية التوافق والتكيف السوي للوليد البشري.

"إلى جانب الأب والأم هناك داخل حيز الأسرة أعضاء آخرين في عمليه التفاعل التي تؤثر على شخصية الطفل وفي نموه الاجتماعي وهو الإخوة حيث إن الانسجام في العلاقة الأخوية وعدم تفضيل طفل عن الآخر وما ينشأ عنها من أنانية وغيره يؤدي إلى نمو الطفل نمو نفسيا سليما، و"يرى "أدلر"أن الأخ الأصغر يشعر بالنقص نحو أخيه الأكبر مما يضطره إلى تعويض النقص بإظهار التفوق على من يكبره من إخوة وأخوات، أما "مورفي"و"نيوكمب" فيريا أن تربية الطفل بين أخوته وهو في حد ذاته ليس عاملا مؤثرا في شخصية الطفل النامية أن ما يؤثر فيها هو اختلاف معاملة الوالدين والتفرقة في معاملة الأبناء؛ إذا كان الآباء يعاملون أبنائهم بعدل ودون تفرقة ينعكس ذلك على البناء وتتصف علاقاتهم بالود والمحبة أما إذا كان الآباء يعاملون الأبناء معاملة غير عادلة أثر ذلك على علاقات البناء التي نجد فيها قدرا من المنافسة والغيرة وهذا كله يشكل خطرا على نمو الطفل العاطفي والاجتماعي إذ سيعاني من القلق و الخوف باستمرار ويشعر بالغيرة والحسد في علاقته الاجتماعية مع الرفاق والمدرسين إضافة إلى أن تمييز الوالدين للابن الذكر دون وجه حق قد تخلق من الولد إنسانا أنانيا وعدوانيا وان يجعل البنت أكثر خضوعا وسلبية وتقبلا للاستغلال"(سبوك واخرون ،1976:ص11).

4-العوامل المؤثرة في الدور التربوي للأسرة:

هناك عدة عوامل تعيق وتؤثر على أداء الأسرة لوظيفتها التربوية ومن بين أهم تلك العوامل نذكر ما يلي:

4-1 المشاكل الاجتماعية:

لقد أكدت العديد من الدراسات أهمية البيئة المنزلية لتنشئة الطفل السليمة ولكن تعرض هذه البيئة لمجموعة من المشاكل الاجتماعية منها: ضيق السكن، كثرة الأفراد فيه، غلاء المعيشة والفقر...هذا الوضع يؤثر على نمو الطفل ويضيق الخناق عليه ويحد من استقلاليته.

4-2-اتجاهات الوالدين:

"هي ما يراه الوالدين ويتمسكان به من أساليب في معاملة أطفالهم في مواقف مختلفة" (الدويدار،2006:ص101).وهي تتضمن السلوك المطلق للوالدين بتعويد الطفل الاعتماد على النفس ومساعدته على النمو الاجتماعي والعقلي ولكن بعض اتجاهات الوالدين يحول دون تحقيق ذلك.

"فالتسلط مثلا هو أحد الاتجاهات الوالدية ولن الطبيعة البشرية تميل إلى دفع الإنسان إلى تربية أطفاله بنفس الطريقة التي تربى بها فإذا كان تلقى من طفولته تربية صارمة وقاسية من حيث إلزام الطاعة والصول في السلوك والعفاف الجنسي والصدق فانه من الطبيعي جدا أن يحس برغبة دفينة

في أن يبيت تلك العادات في نفوس أطفاله بنفس الطريقة وفرض آرائهم و أفكارهم بكل تعنت ودون نقاش"(الدويدار ،2006:ص103).

4-3-ثقافة الوالدين:

إن ثقافة الوالدين تؤدي دورا في تنشئة الطفل إذ لابد أن يكونا مملين بالمبادئ التربوية الأساسية التي تتعلق بطبيعة الفرد الذي هما بصدد رعايته وتكوينه كي تسهل عليهما المهمة.

إن تفهم الوالدين لرغبات وميول أطفالهما يجعل القدرة على الابتكار تنمو لديهم فعلى قدر الخبرات و التجارب التي يمر بها الوالدين في حياتهما وما تحصلا عليه من تربية وتعليم ومستوى ثقافي...وما يتمتعان به من خصائص نفسية وعقلية واجتماعية تتشكل حياة الطفل ونموه العقلي والجسمي والوجداني ومن ذلك يبرز دور الإرشاد بالنسبة للوالدين والطفل وأهميته في عملية التنشئة وعلى عكس ذلك كله إذا لم تتوفر المعلومات الكافية والفهم الصحيح لخصائص الطفل لدى الوالدين وفي حالة جهلها لكيفية توجيهه وتكوينه من جميع الجوانب تكمن هنا صعوبة في تحديد الأسلوب السليم في عملية التوجيه والإرشاد النفسي.

4-4 الاستقرار العائلي:

ليس هناك شك في أن الاستقرار العائلي والتماسك الأسري يؤديان دورا بالغا في تكوين وإعداد الطفل وتطبيعه اجتماعيا بينما التصدع الأسري أو التفكك الذي يمس كيان الأسرة سواء بسبب الطلاق أو الموت أو الهجر كلها حالات لوضع اجتماعي يؤثر بطريقة أو بأخرى على عملية التنشئة الاجتماعية ويؤثر في سلوكه وتصرفاته فغياب الأب والأم عن المنزل وغياب السلطة في البيت تؤدي إلى ظهور عدة أطراف أخرى تشارك في توجيه وإرشاد الطفل كزوج الأم أو زوجة الأب في حالة إعادة الزواج بالنسبة للوالدين المطلقين أو حالات أخرى، لذلك أكدت الدراسات النفسية الاجتماعية على أهمية مشاركة الوالدين في عملية التوجيه و الإرشاد حيث تزيد الأهمية في تطوير نضج الطفل ونموه الحركي وازدياد خبرته في التكيف مع بيئته.

4-5-أسلوب الأم:

إن الطبيعة البشرية شديد التعقيد أن الأطفال والآباء يختلفون أشد الاختلاف في الشخصية والذكاء بحيث يظهر تشعب واختلاف في الرأي بشأن معاملة الطفل بين الوالدين فكل يحدد نوع المعاملة حسب ما يراه مناسبا وخصوصا الأمهات فهن يتبعن أساليب مختلفة مع أبنائهن لاختلاف المواقف التي تحدث خلال حياة الطفل فكثيرا ما يتعرض الأطفال إلى مشاكل عديدة مثل مشكلة الامتناع عن الأكل أو مشكلة الإصرار على طلب الأشياء أو المشاكل السلوكية كالكذب و السرقة والعنف ومشكلات تتعلق بالدراسة ويمكن للأم أن تحقق نتائج أفضل في معالجة تلك المواجهات بإتاحة الفرصة للطفل

لاختيار ما يحب بدلا من إلزامه بما يكره ويحب أن تكون الأم قدوة حسنة وأن يكون سلوكها حضاريا وجيدا خال من التناقض فمثلا لا تنه الطفل عن القيام بسلوك ما ثم تمارسه هي على مرأى منه لأن ذلك من شأنه أن يخلق تناقضا داخل شخصية الطفل وعجز في الاختيار بين الخطأ والصواب.

5-العلاقات الأسرية و أثرها على النمو الاجتماعي للطفل:

يعتبر دور الأم كما سبق الإشارة إليه دورا هاما وحيويا في تشكيل سلوك الوليد وتطويره فهي مصدر إشباع حاجاته الفيزيولوجية والنفسية إذ تلبي له مطالبه الفيزيولوجية وتغرقه بعواطف الحب والحنان وتسهر على راحته وتبث الطمأنينة في نفسه عند شعوره بالخوف، وحرمان الطفل من إشباع حاجاته الفيزيولوجية من تغذية ونظافة وراحة ونوم وحاجاته النفسية للحب والمن...بسبب فقدان الأم أو بعدها عنه لاسيما في المراحل المكبرة من العمر خلاف العام الأول من ميلاده من أشد العوامل خطرا على الأطفال و شخصيتهم المستقبلية وصحتهم النفسية فقد يؤدي هذا إلى الاضطراب النفسي وفقدان الثقة والشعور بالتعاسة كما يؤدي إلى الانحراف"(الدويدار،2006:ص103).

وإضافة إلى الأم هناك ادوار هامة يؤديها أفراد الأسرة من أب وإخوة في عملية تشكيل السلوك لدى الطفل ويبرز تأثير الأسرة على النمو الاجتماعي للطفل من خلال العلاقات الأسرية كما سنشير إليه من خلال الحديث عن دور العلاقة بين الوالدين وبين الطفل والعلاقة بين الإخوة في تشكيل شخصية الطفل.

5-1-العلاقة بين الوالدين:

علاقة الوالدين بعضهما ببعض لها أهمية كبيرة في تنشئة الطفل فالسعادة الزوجية تحقق للأطفال تنشئة اجتماعية سليمة وتتحقق السعادة الزوجية عندما يستطيع كل من الزوج والزوجة إشباع حاجاتهما وتحقيق أهدافهما في الحية الزوجية مما يؤدي إلى حرص كل منهما على تماسك الأسرة واستقرارها.وتتحقق السعادة الزوجية والاستقرار العائلي عندما يجد الزوج في زوجته صورة الزوجة التي كان يتمناها والتي هي مصدر إشباع لحاجاته المتعددة من عطف وتقدير ورعاية وعندما تجد الزوجة في زوجها ما كانت تتمناه من مطالب وتطلع بما يحقق لها الحماية والحب والإعجاب والمركز الاجتماعي و لإشباع المطالب والاحتياجات المادية.

ورغم أن جميع هذه المطالب لا تتوافر أو تتحقق كلية أو قد يتحقق جانب منها أو قد تتعارض إلا أن كل من الطرفين يحاول التكيف والمواءمة والتخلي عن بعض المطالب أو إرجائها مما قد يساعد على سير قافلة الحياة الزوجية واستمرارها ولاشك أن انسجام علاقات الوالدين واستقرارها يساعد على بناء شخصية الطفل وإثرائها وتكاملها.وحين يسود جو الأسرة علاقات يشوبها الخلاف والتشاحن بين الأبوين فان هذا يترك في نفوس الأطفال أثارا نفسية مؤلمة ويصيبهم بالاختلال والتوازن الانفعال

والنفسي فتناحر الوالدين وصراعهما يعرض الطفل لصراع نفسي أليم ويهدد أمنه وسلامة حاجاته للانتماء عندما يسمع هذا الصراع ويسمع ألفاظا قاسية لا يستطيع أن يهرب من أثارها النفسية فقد تؤدي هذه الخلافات بين الوالدين إلى أنماط من السلوك المضطرب لدى الأطفال كالغيرة والأنانية والعدوان والانحراف(الدويدار،2006:ص103).

5-2-العلاقة بين الوالدين والطفل:

إن علاقة الوالدين بالطفل وكيفية معاملته تلعب دورا هاما في تكوين شخصيته فالطفل الذي تقوم علاقته بأبويه على أساس قدر من الإشباع المناسب للحاجات البيولوجية والنفسية نتوقع له شخصية مستقبلية سليمة تتوافر لها دعائم الاتزان الانفعالي والقدرة على التوافق والتعاون مع الآخرين وعلى العكس من ذلك عندما تكون العلاقة بين الوالدين و الطفل قائمة على الإفراط في الحب والتدليل والتصاق الطفل بأبويه فإنها ستفرز شخصية اتكالية وأنانية تتميز بضعف الثقة بالنفس وعدم القدرة على التعاون و التوافق مع الآخرين أما إذا كانت علاقة الأبوين بالطفل تقوم على الصرامة و القسوة أو عدم إشعار الطفل بالحب فان ذلك يجعل الطفل ميالا للنشر و الإيذاء ويجعله أميل للتشاؤم أو عدم المبالاة أو السلبية أو العدوان وقد يصب الطفل عدوانه على الأسرة ذاتها أو على المجتمع"(الدويدار،2006:ص103).

كذلك تؤثر اتجاهات الوالدين على الأطفال من حيث تفضيلهما جنس على آخر كتفضيلهما الذكور على الإناث أو تمييزهما طفل على آخر لمسات أو أخرى يتميز بها على إخوته كذلك التذبذب في المعاملة كأن يكون الأب صارما قاسيا والأم صفوحة متسامحة أو مغالية في التدليل"(الدويدار،2006:ص104).

أما بالنسبة لأسباب الاتجاهات الوالدية التي تتسم بالمغالاة أحيانا والتذبذب أحيانا أخرى فقد تكون أسباب شعورية أو لا شعورية فالعطف و المبالغة في الاهتمام و التدليل المفرط للطفل قد يكون لكونه الطفل الأول أو أنه أتى بعد فترة طويلة من الانتظار أو استحالة إنجاب طفل آخر أما القسوة والصرامة في التعامل فقد تكون بسبب عدم رغبة الوالدين في الطفل أو رفضهما له لأسباب متعددة قد تكون عدم التوافق العاطفي بين الوالدين أو مشكلات وصعوبات صحية أو نفسية أو اقتصادية.

5-3-العلاقة بين الإخوة:

علاقة الإخوة ببعضهم البعض واتسامها بالانسجام والتوافق وعدم الصراع له أثر كبير في نمو شخصية الطفل فعدم الغيرة وحب الإخوة بعضهم لبعض يقوم بغرسه الآباء بعدم التفرقة في المعاملة وعدم تفضيل طفل على آخر بسبب جنسه أو ترتيبه في الميلاد أو بسبب تميزه في سمات عقلية أو مزاجية.

وقد تعرض كثير من العلماء من بينهم "ادلر" "Adler" لترتيب الطفل في الميلاد وأثره على شخصية الطفل فمن المعروف أن الطفل الأول: يكون نموه اللغوي والاجتماعي أقل من الأطفال الآخرين وقد يصبح غيورا أو عدوانيا اذ ولد له منافس و الطفل الثاني: قد يكون ميالا لانتزاع الاهتمام وجل ما يستطيع الحصول عليه من منافسه الأول الذي سبقه في الميلاد ،والطفل الوحيد :قد يجد صعوبة التوافق الاجتماعي ويكون عادة غير محبوب من أقرانه لأنه تعود الأخذ دون العطاء في كنف الأسرة والطفل الأخير: قد يكون عرضة للتدليل من والديه وقد تطول مدة طفولته عن المعدل العادي بسبب هذا التدليل وقد يؤدي ذلك إلى غيرة إخوته منه والحقد عليه وقد يتعرض الطفل الأخير لمشاعر النقص وقد أوضحت الدراسات التي أجراها "ليفي" "Levey" 1937 و" كوخ" "koch" عام 1965 تأثير الإخوة في عمليات التنشئة الاجتماعية لاسيما ترتيب الإخوة داخل الإطار السري وهناك عامل آخر خاص بالأسرة له أثر على العلاقات الأسرية وبالتالي على النمو الاجتماعي للأفراد يمكن لنا الإشارة إليه وهو المستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسرة: تدل دراسات "بلوكسما""Blocksma" " على أن للمستوى الاجتماعي والاقتصادي و الثقافي للأسرة أثرا عميقا على سلوك الأطفال وعلى نموهم الاجتماعي ولهذا يختلف سلوك الفرد تبعا لاختلاف المدارج المختلفة لأسرته"(السيد،1998:ص239).

وللبيئة المباشرة المحيطة بالأسرة أثر على مستوياتها المختلفة وعلى تحديد نشاط بعض أرافدها ولهذا كان لسلوك أفراد الأسرة المتعلمة نمطا يختلف عن سلوك أفراد الأسرة الجاهلة وكان لسلوك أفراد الأسرة الغنية نمطا يختلف عن سلوك أفراد الأسرة الفقيرة والواقع خير دليل على صدق هذا.

هذا وترتبط هذه المستويات بالمعايير الاجتماعية والقيم السائدة وبمدى تفاعل الفرد معها وبإيمانه بها وخضوعه لها أو عزوفه عنها.

الخاتمة :

إن الأسرة لها دور كبير في تكوين شخصية الفرد الاجتماعية إذ هي أول من يحتك به الطفل في مرحلة نموه الأولى ويتعلم الصواب والخطأ داخلها ويكتسب اللغة ويتعرف على العادات والتقاليد و المعايير الأساسية السائدة داخل الجماعة الاجتماعية , ولذلك فان أي معالجة للمشكلات الاجتماعية كالعنف الجريمة , الانحلال الأخلاقي ... وغيرها كثير إنما يمكن الحد منه من خلال التركيز على مؤسسة الأسرة وإصلاحها وتوحيد القالب التربوي الأسري بما يتماشى مع الإطار الاجتماعي العام.

المراجع:

1. نعيمة ، محمد.(2002). **التنشئة الاجتماعية وسمات الشخصية**.الاسكندرية: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.

2. السيد ،عبد القادر شريف(2002). **التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة**.القاهرة: دار الفكر العربي.

3.اوبير، رونية(1977). **التربية العامة**(ترجمة عبد الله الدايم).بيروت: دار الملايين للنشر والتوزيع.

4.الواعي، توفيق يوسف(2005). **الإبداع في تربية الأولاد**.المنصورة:دار الشروق للنشر و التوزيع.

5.العكايلة، محمد سند(2006). **اضطرابات الوسط الأسري وعلاقتها بجنوح الأحداث**.لبنان :دار الثقافة للنشر والتوزيع.

6.عبدالهادي، نبيل وآخرون(2007). **تطور اللغة عند الاطفال** .الاردن: دار الاهلية للنشر والتوزيع.

7. مجموعة من المؤلفين.(د س ن). **المعجم الوسيط**.بيروت: دار احياء التراث العربي .

8.مكي، عباس محمود(2007). **دينامية الاسرة في عصر العولمة**.بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

9.Kojeve (1981). **Esquisse d'une phenomenology de droit**. Paris : Gallimard.

10.Sami a (1970) .**de la projection**. Paris: payot.paris.

11.عوض، عباس محمود,الدمنهوري ،رشاد صالح(د س ن). **علم النفس الاجتماعي نظريات وتطبيقاته**.مصر: دار المعرفة الجامعية.

12-شرقي، رحيمة(2005).**أساليب التنشئة الأسرية وانعكاساتها على المراهق**.رسالة لنيل درجة الماجستير العائلي ،جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.

13-العناني، حنان عبد الحميد(2000).**الطفل و الأسرة والمجتمع**.عمان :دار الصفاء للنشر و التوزيع.

14-عباد ،مواهب إبراهيم ،الخضري ،ليلى محمد(1997).**إرشاد الطفل و توجيهه في الأسرة و دور الحضانة** .الإسكندرية :منشاة المعارف.

15-سبوك، بن جامين و آخرون(1976).**موسوعة العناية بالطفل**.بيروت :دار الملايين للنشر و التوزيع .

16- الدويدار ،عبد الفتاح محمد(2006). **علم النفس الاجتماعي أصوله و مبادئه**.الإسكندرية:دار المعرفة الجامعية .

17- السيد ،فؤاد البهي. **الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة** .القاهرة:دون دار نشر.